بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالهدي ودين الحق، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: فمنذ زمن طويل كنت أنظر في كتب التفسير فأجد فيها المطول والمختصر، وكنت أرى أن التطويل قد لا يسمح لكل قارىء أن يقرأ تفسير القرآن ويتمه، وأن الاختصار قد لا يستوعب كل ما رمز إليه المفسر. وكنت أرى أن تفسير القرآن الكريم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ كتاب جمع فأوعى، ففيه الدراية والرواية، وفيه الاستدلال بالآية على نظائرها من الآيات، وفيه الاستشهاد بالحديث فيما يتصل بالآية، وفيه أسباب النزول وفيه السيرة، وفيه الرواية عن الأئمة، وفيه تخريج الأحاديث وذكر أسانيدها، إلى غير ذلك مما أمتع الله به الشيخ رحمه الله من القوة العلمية والبيانية، مما آثر أن يجعله في تفسيره لتقرأه الأمة الإسلامية على توالي الأجيال.

وكان مما مَنَّ الله به أن جعل لهذا التفسير فتحاً، فكان محبباً إلى القلوب، قريباً من الأفكار، عبارته سهلة، وغرضه ظاهر، وأهدافه واضحة، فهو يشرح لك المعنى من أسهل الطرق، وبأسهل الألفاظ، فتخال نفسك وأنت تقرؤه كأنك تقرأ قصة تستهوي فكرك وتأخذ بلبك ثم أنت حين تقرأ فيه ينقلك من الآية إلى معناها، ومنه إلى الحديث الشريف، ومنه إلى الأمر، ومنه إلى الحكم، ومنه إلى الحكمة، وهكذا تعيش فيه مع خيرة القرون: الأول والثاني والثالث وأنت في نعيم مقيم وقد رأيت أن أختصره في جزء واحد يجمع أكثر ما فيه من المعاني، فالشيخ رحمه الله قد يأتي للآية الواحدة بعدة شواهد، فلا مانع من الاقتصار على بعضها وبعدة أحاديث بروايات متعددة كلها تؤدي غرضاً واحداً، فلا مانع من الاجتزاء ببعضها. وبأكثر من أثر للمسألة الواحدة، فقد يجوز أن يؤخذ بعضها، ناهيك بالأسانيد التي لا مانع في أيامنا هذه من حذفها، إذ هي محفوظة في الأصل ومن أرادها يستطيع في كل وقت أن يعود إليها. والمهم أن يقرأ الناس القرآن وتفسيره، وأن يدخلوا إلى ذلك من أقرب الطرق وأخصرها غير أنني حين حاولت الاختصار رأيت الكتاب بحراً لا ساحل له فغلبني ما فيه من الجواهر فكان في جزأين.

وأسأل الله أن ينفع بهما، وأن يجزل المثوبة للشيخ الذي هو الأصل وصاحب الفضل وللمختصِر، وللقارىء وأن يجعل ذلك كله زلفى لديه.

وكل ما أرجوه من الله أن لا أكون قد أسأت للكتاب، فالكتاب قمة ولا شك، وأرجو أن يكون هذا المختصَر فيه من الكفاية للقارىء ما يغنيه عن أن يقلب طرفه في تفاسير كثيرة.

والفضل من الله الكبير أن الإقبال على القرآن بكل علومه وتفاسيره وأحكامه هواية الناشئة من ذكور وإناث وذلك يعود إلى أن الشباب تعلموا، والعلم يهدي إلى الرشاد ولم يجدوا الرشاد والطمأنينة إلا في كتاب الله عز وجل، فهرعوا إليه وانكبوا عليه ينهلون منه ومن علومه وتفاسيره، وذلك ولا شك يبشر بخير، ونسأل الله أن يمن بالهداية وأن يعود بالمسلمين إلى مهيع دينهم، ومعين عقيدتهم، وصافي شراب تشريعهم، وأن يعملوا بما علموا، إنه سميع قريب.

هذا وقد حرصت على عبارة الشيخ كل الحرص، والتزمت ألفاظه كل الالتزام، حتى لا نخرج في هذا المختصر عن نور عبارة الأصل، ولا عن غاية مراميها وأبعادها، فالشيخ رحمه الله ذو نور في القلب وإشعاع في الفكر، وعبارته متأثرة بنور قلبه وضياء فكره، فكان لا بد من التزامها كما هي، وما كان للجوهر أن يبدَّل ولا للذهب أن يغيَّر ومهما جيء بمثله فإنه لا مثل له.

وأرجو من القارىء إذا قرأ فاستفاد أن يشملني بدعوته فذاك هو الذخر الذي أرجوه يوم الدين.

كما أنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصحاب دار المعرفة للطباعة والنشر في لبنان على ما أبدوه من عناية فائقة في سبيل نشر هذا المختصر، وأسأله جلت قدرته أن يكتب لهم هذا الجهد في صحائف أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

دمشق في ١٤٠٣/٨/٢٩

١٩٨٣/٦/١

محمد كريم بن سعيد راجح